

## ألفاظ الشعر السياسي والاجتماعي

### لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار

مجيد صادقي مزيدي\*

١. أستاذ مساعد، بجامعة العلوم والمعارف القرآنية، قم

(تاريخ الاستلام: ٢٠١٦/٣/١٥؛ تاريخ القبول: ٢٠١٦/٦/٥)

#### الملخص

يمتاز العصر الحديث بأنه قرن البعث والنهوض الأدبي والسياسي في الأمة المصرية والإيرانية، كانت ثمرة هذا البعث ظهور شعراء متذمرين أرادوا للشعر أفقاً لمصالح الناس والمجتمع؛ فمن أبرزهم محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار. يحاول هذا البحث جاهداً إلقاء الضوء على الألفاظ الشعرية المشتركة لديهما. فمن أهمها: ألفاظ الطبيعة، وألفاظ الإيقاظ والثورة، وألفاظ الحزن، وألفاظ الوحدة والألفاظ السياسية. كرّس الشاعران جهودهما في استعمال الألفاظ الثورية والتحريضية والألفاظ السياسية المحضة والمفردات الدالة عليها، ولكنه يكثر البارودي من الجمل الفعلية ويؤكد ملك الشعراء بهار على ألفاظ الحمية واستدعاء الشخصيات التاريخية. وفي جانب آخر فداخذ الشاعران مجموعة من الألفاظ الوجدانية الصريحة وغير الصريحة الدالة عليها وصرّحاً بكثرة الضمير الجمعي باعتباره حاملاً لإرادة التغيير بالاتحاد والوحدة. كما انحرف الشاعران بألفاظ الطبيعة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، ورمزا بها إلى الأغراض السياسية والاجتماعية. أضف إلى ذلك أن الألفاظ الحزينة قد أصبحت لديهما تعبيراً صادقاً عن إحساس مرير باليأس ولده الشعور بعدمية جدوى المستقبل وكان ذلك إثر الغدرة واغترابهما الوطني. تهج هذه المقالة الدراسة الوصفية وتحليل الفحوى كما تستدعي طبيعة الموضوع وغايته أن تستكشف الألفاظ المختلفة حقيقياً أو مجازياً في الأشعار السياسية والاجتماعية للشاعرين لتبين أهمية هذه الألفاظ.

#### الكلمات الرئيسية

الأدب الحديث، محمود سامي البارودي، ملك الشعراء بهار، الألفاظ الشعرية.

## مقدمة

إنّ دراسة الشعر العربي والفارسي الحديث تدلّنا على تطور الشعر المناضل في أشكاله وتعاييره ولفته في زمنٍ حفلت البلاد بالأزمات والاضطهاد والاحتلال، فبقي الشعر رؤية الإنسان الحديث في شكله الفني وفي صوته وظلّ الشعر صدى لمطالب الشعب وأصبح سجلاً يسطر الشعراء به تاريخهم ويكتبون مآثرهم. كما يقول عزيز السيد جاسم عن دور الشعر الحديث في مواكبة التطورات الحضارية "إنّ الشعر الحديث قد أسهم إسهاماً ثورياً في عملية الخلق الفني، وفي تفجير الطاقات المخبأة، والأكثر وعياً لطبيعة حرية الإنسان. لذلك فقد أضحت التطور الحاصل في القصيدة العربية ليس محاولة مجددة تعاكس القديم بل اختياراً من خلال الضرورة، الضرورة في أن يتكافأ الحس والموسيقى واللغة والمعاني في وحدة واحدة" (عزيز، ١٩٩٥: ٩٧).

من ثمّ أصبح الشعر الحديث ضرورة لمواكبة تطورات العصر الحضارية وأغراضه وتوسّع أهدافه "وعندما نركز على شعر هذا العصر نجد التجربة الثورية التي رافقته، وهذه التجربة دفعت بالشعر إلى التجربة القومية والتجربة الإنسانية ولعلّ من الحق أنّ الشعر الحديث يغلي باتجاهات جديدة كثيرة فيه" (مراشدة، ٢٠٠٩: ٩٩). فبرز دور الشعراء في تصوير وصف المعاناة والألم ووصف التمزق والضياع والتشتت في الوطن. من أبرزهم في الأدبين الفارسي والمصري؛ محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار رائدا الأدب العربي والفارسي في العصر الحديث، فهما شاعران ثوريان كانا يؤمنان بالثورة على الظروف السائدة لبلادهما. فأصبح الشعر السياسي عند الشاعرين من الأغراض الجديدة؛ لأنّ الشعر السياسي والاجتماعي لديهما كان غرضاً خلع الشاعران عليه لباس الجودة في الجوانب المختلفة؛ منها الجديد في استعمال الألفاظ الشعرية حيث اعتبر التطرق إلى استعمال اللغة كأسلوب خاص لديهما.

تهدف هذه المقالة دراسةً البنية اللغوية لأشعار النهضة الدستورية لدى الشاعرين - ملك الشعراء بهار ومحمود سامي البارودي - وتبيين الظروف اللغوية لهما، وتكمن أهميتها أيضاً في قيمة الأدب المقارن واستكشاف التقارب الفكري والثقافي لدى الشاعرين. بما أن الشاعران قد اتخذا الألفاظ المختلفة في أشعارهما السياسية والاجتماعية في خدمة المدلالات الشعرية؛ فتقوم هذه المقالة بتحليل تلك الألفاظ المشتركة لديهما بدلالتيّن رمزيةً ومباشرةً في

التصوير الرمزي والشعري فينتجه البحث فيما يرتبط بالموضوع إلى كشف أوجه التشابه والتباين في تلك الألفاظ ويشير أحياناً إلى الظواهر الفنية لديهما. نظراً لذلك جاءت هذه الدراسة للكشف عن رؤية الشاعرين في الألفاظ السياسية والاجتماعية من خلال الإجابة عن الأسئلة التالية: ما هي الألفاظ المتنوعة التي استعملها الشاعران لأغراضهما السياسية والاجتماعية؟ وكيف تجسدت تلك الألفاظ المتنوعة لأغراضهما السياسية والاجتماعية؟ وما هي العوامل التي أثرت في التعبير عن تلك الألفاظ؟ وتقوم فرضيات البحث على: ١. أهم الألفاظ المشتركة التي استعملتها الشاعران تشمل الألفاظ السياسية والوطنية وغيرالسياسية ٢. تعرض تلك الألفاظ بالصراحة والمباشرة كما تمكن استعمالها بالدلالات الرمزية. تعتبر الحقائق السياسية والاجتماعية وتطورات عصرهما من أهم العوامل البناءة في اتجاه الشاعرين لأغراضهما.

وأما بالنسبة لخلفية البحث فقد كانت النهضة الدستورية من أهم العوامل البناءة في الأدب، بناءً على هذا؛ قد تطرق الباحثون حول الشاعرين في الموضوعات المختلفة. يمكن الإشارة إلى أهم هذه البحوث المنشورة حول اللغة الشعرية لأشعار ملك الشعراء بهار وهي:

- خطيبي، حسين، هنر شاعري وسبك اشعار بهار، تهران، ماهنامه حافظ، ١٤، ١٣٨٤ش، صص ٦٧-٩٢. يتركز البحث على اختيار الألفاظ لأشعار بهار عامةً، ويكتفي بذكر بعض النماذج المرتبطة بها.

- زرقاني، سيد مهدي، بهار وتعامل با سنت وتجدد، مجلة ادبيات وعلوم انساني: ١٤٦، ١٣٨٣ش. صص ٨٧-١٠٣. اعتنى الباحث في هذه المقالة بالتوجهات القديمة والجديدة لشعر ملك الشعراء بهار عامةً ولم يهتم بالشعر السياسي والاجتماعي والجوانب اللغوية كما ينبغي.

- فلاح، غلامعلي، بازتاب حضور سياسي بيگانگان در شعر محمد تقي بهار، مجله دانشكده ادبيات وعلوم انساني تهران، ٤٧، تابستان ١٣٨٤ش. صص ١٨٠-٢١١. اهتم الباحث في هذه المقالة بالموضوع السياسي للشاعر ولم يهتم بالجوانب الأدبية. ومن أهم الدراسات التي تمت في أدب النهضة الدستورية للبارودي:

- أبوسنة، محمد إبراهيم، محمود سامي البارودي والطبيعة المصرية، المجلة العربية للإنسانية، العدد ٢٩٢، ٢٠٠٣م. صص ٣٢١-٣٤٢. أكد الباحث في هذه المقالة على العناصر الطبيعية في مصر وأتى بالشواهد الشعرية ليبين مدى حبه للوطن وعناصره.

- پيشوايي، محسن، توحيد در ديوان بارودي، تهران، مجله دانشكده ادبيات وعلوم انساني، بهار ١٣٨٢ش، صص ١١٩-١٣٨. فقد اهتم الباحث في هذه المقالة بالمضامين الدينية والقرآنية وألفاظها في شعر البارودي بصورة عامة من السياسية وغيره، وأتى بالنماذج الشعرية التي يبين لنا ألفاظ القرآن ومفاهيمها.
- رفيعي راد، زهرا، تأملي در ادبيات حماسي عرب در عصر حاضر، تهران، مجله دانشكده ادبيات، زمستان ١٣٧٩ش. صص ٣٩٧-٤١٦.
- اهتم الباحث بالشعر الحماسي بصورة عامة وذكر بعض أسبابه في العصر الحديث وشرح تلك العوامل وفي النهاية عدّ رواد الشعر السياسي للبلاد المختلفة؛ منهم محمود سامي البارودي وذكر بعض النماذج الشعرية.
- غيب، عبدالاحد، تجديد ونوگرايي در شعر شاعران نئوكلاسيك مصر، مجله دانشكده ادبيات وعلوم انساني تهران، شماره ٢٤، بهار ١٣٧٩. صص ١٧٩-١٩٣. تطرق الباحث في هذه المقالة إلى الموضوعات المختلفة لدى الشعراء المصريين مؤكداً على الجوانب التجديدية في أشعار الشعراء وذكر بعض الأشعار التجديدية عند البارودي أيضاً ولم يهتم بالألفاظ التجديدية كما ينبغي.
- عليمرادي، مريم، شعر ايران ومصر در قرن ١٩ ميلادي، تهران، فصلنامه ادبيات فارسي، ١٣٨٢ش. صص ٤٨-٥٦. شرح الباحثُ المواقفَ التاريخية في البلدين وذكر بعض العوامل الهامة للتطورات الشعرية واكتفى ببعض النماذج الشعرية للشعراء المحدثين للبلدين.
- محسني نيا، ناصر، مباني ادبيات مقاومت معاصر ايران وعرب، كرمان، ادبيات پايداري، ١، ١٣٨٨ش. صص ١٤٣-١٥٨. حاول الباحث أن يبين بعض مبادئ أدب المقاومة في البلدين إيران ومصر في العصر الحديث ويذكر مراحل أدب المقاومة وروادها تاريخياً.
- أما بالنسبة إلى البارودي وملك الشعراء بهار فلم يعثر الكاتب على بحث مستقل حول الشاعرين على الصعيد اللغوي فيحاول هذا البحث دراسة الألفاظ السياسية والاجتماعية عندهما، ويمكن القول إن هذا البحث جديد يركز على الدراسات اللغوية لديهما في إيران ومصر.

## اللغة الشعرية

فلغة دورها الكبير في بناء القصيدة، "من حيث هي عمل فني ليست إلا تشكيلاً خاصاً لمجموعة من ألفاظ اللغة" (إسماعيل، ١٩٨٦: ٥٠) فيمنحها صورتها وإيقاعها ومعناها. والألفاظ هي ريشة الشاعر ترسم صور النص، فلا بد من أن تحمل ألواناً، ينسجها الشاعر بحسب مقتضيات تجربته لتمثّل صوراً شعرية حيث يكون للنص قدرة على استحضارها، وبذلك تكون وظيفة الألفاظ هي القدرة على التصوير النابض بالتفاعل الحي والإشارة والتذكر والاستجماع لمكونات المشاعر الإنسانية المترسبة في الأعماق" (مبارك، ١٩٨٨: ١٥).

ولما كان الشعر خرقاً للغة عن الصياغة المألوفة، فإن الشاعر لا يستعمل ألفاظ اللغة كما يستعملها غيره، ف"هو يحطمها ويمزجها بأحاسيسه ومشاعره، وذرات كيانه لتتشعب بشحنات نفسه المنفعله ثم يخرجها إلى الواقع مصنوعة صنفاً جديداً محملة بطاقات إيحائية عالية تعكس خصائص مبدعها الذاتية والموضوعية" (مبارك، ١٩٨٨: ٣٦) ولذا يتعين على الشاعر أن يعنى كثيراً باختيار ألفاظه وتأليفها للتعبير عن المعاني.

لقد أسمعنا محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار كثيراً من الصخب العالي والعنف الشديد، في مواقف الإيقاظ والحث على الثورة والذود عن حرية الوطن والأمة، والدعوة إلى الوحدة، وغيرها من المعاني التي اتبع فيها الشعراء الأسلوب الثوري الخطابي والتقرير الذي شمل الألفاظ والتعابير القوية والصاخبة، ليكون له ذلك التأثير القوي في نفوس المتلقين، وهذا ما ينشده الشاعران لأنهما من أصحاب الرسالة. فعلى هذا الأمر يرتبط الألفاظ الشعرية لدى الشاعرين ارتباطاً حياً بتجربتهما وموقفهما ورؤيتهما للحياة، إذ "تمثل العقيدة الصدى الداخلي لواقع الحياة، والكون على وجدانه، كما تكشف لنا عن معاناة الخلق التي تداخلت وتفاعلت فيها مخزونات الذاكرة، ومعطيات الحواس والشعور" (العشماوي، ١٩٨٨: ١٣٦). وتكشف دراسة الألفاظ الشعرية مدى الثقافة والذوق والتأثر بمعطيات الحضارة والعصر، كما أن التجربة التي يمر بها الشاعران تفرض عليهما مجموعة من الألفاظ والدلالات الشعرية النابعة من أعماق نفسيهما المستقرة أو المضطربة أو من المجتمع ومستجدات عصره.

فمن قراءة ديوان الشعر السياسي والاجتماعي للشاعرين، توجد ألفاظ تختل لنفسيهما ومجتمعهما. ومن هنا يمكن تقسيم الألفاظ الشعرية لدى الشاعرين على المحاور اللغوية الآتية: ألفاظ الطبيعة، ألفاظ الإيقاظ والثورة، ألفاظ الحزن، ألفاظ الوحدة، الألفاظ السياسية.

## ألفاظ الإيقاظ والثورة

إنّ الشعر السياسي لدى الشعارين واكب النهضة الدستورية في تاريخ الأمة الإيرانية والعربية، مما دفع بهما إلى الإيقاظ الجماهيري والدعوة إلى الثورة ضد الظلم والقهر والاستبداد، فلجأ الشعاران إلى الوضوح والتقرير المباشر البعيد عن أساليب التحليق الفني، لأن الشعر وسيلة إيقاظ ومخاطبة الجماهير، وهذا جعلهما يرددان ألفاظاً مثل (الجهاد، القيود، الطغاة، النضال، الوطن، الجماهير، السجن، الوعي، ثورة، الذل، الاستعمار وعبيد و...) ولعلّ إيمان هذين الشعارين بإيصال صوتهما إلى مختلف الشرائح الاجتماعية، سوّغ لهما أن تأتي بهذه الألفاظ - في الأعمّ الغالب - بدلالات تشير إلى مفهومها الثوري والإيقاظي بلغة بسيطة، لكونها تتسجم مع ما يؤمن به الشعاران، فضلاً عن وظيفة الشعر الاجتماعية في تلك الحقبة من النضال والكفاح ضد الفساد وهي السمة السائدة في أشعارهما للدستورية. فيقول البارودي في شعره السياسي منشداً:

فَيَا قَوْمَ هُبُوا إِنَّمَا الْعُمُرُ فُرْصَةٌ      وَفِي الدَّهْرِ طُرُقٌ جَمَّةٌ وَمَنَافِعُ  
أَصْبِرْ أَعْلَى مَسِّ الْهَوَانِ وَأَنْتُمْ      عَدِيدُ الْحَصَى إِنِّي إِلَى اللَّهِ رَاجِعُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٣٣٤)

يتجلى في الأبيات دعوة الشاعر الصريحة للإيقاظ والثورة وتنبيه القوم باستعمال النداء "يا قوم" وفعل الأمر "هبوا" والاستفهام التوبيخي "أصبرا" وألفاظ أخرى لغفلة الشعب ك"مس الهوان"، "العمر فرصة" بغرض تحفيز الهمم وتنبيه الضمائر. وفي موقف آخر يلاحظ أنّ الشاعر في مخاطبته لأبنائه وهم يقارعون الظلم، قد استعمل ألفاظ الإيقاظ ك"دياجير محنة، يد الجور، ظالم، داء، ضاع المجد" هذه الألفاظ التي صورت نفسية الشاعر الثائر وما يدعو له، فحشدت هذه الكلمات الإيقاظية عنده كي تتسجم مع غرضه ومضمونه السياسي وتحقق الدعوة إلى استثارة الهمم والعزائم وذلك في قوله:

فَحَتَّامَ نَسْرِي فِي دِيَا جِيرٍ مِحْنَةٌ      يَضِيقُ بِهَا عَن صَحْبَةِ السَّيْفِ حَمْدُهُ  
إِذَا الْمَرْءُ لَمْ يَدْفَعْ يَدَ الْجَوْرِ إِنْ سَطَّتْ      عَلَيْهِ فَلَا يَأْسِفُ إِذَا ضَاعَ مَجْدُهُ  
وَأَقْتُلْ دَاءَ رُؤْيِيَةِ الْعَيْنِ ظَالِمًا      يَسِيءُ وَيَتَلِي فِي الْمَحَافِلِ حَمْدُهُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ١٢٣)

وفي موقف كانت أشعاره على الرغم من التقريرية، دعوة صريحة لليقظة والثورة، ففي ذلك أنشد الشاعر أبياتاً يستهل قصيدته هكذا:

أَبَى الضَّيْمِ فَاسْتَلَّ الحَسَامَ وَأَصْحَرَ  
وَذُو الحِلْمِ إِنْ سِيمَ الهَوَانَ تَتَمَّرًا  
جِدَادُ إمْرِيٍّ آلَى بِقَائِمِ سَيْفِهِ  
عَلَى المَجْدِ أَنْ يُولِيَهُ نَصْرًا مُؤَزَّرًا

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٢٧٦)

فمن الألفاظ التي استعمل الشاعر في هذا المحور لفظة "الحسام والسيف" وهو مرتبط بمعنى الإقدام والشجاعة والقوة، "لقد استعمل الشاعر لفظة السيف والحسام وهي من ألفاظ الثورة، ومما يلاحظ أن هذه الألفاظ ليست من مألوف لغة الشعر الحديث، إلا أن الشاعر السياسي لا يرى عنتاً في استعمالها، ليؤكد اتصاله بتراث أمته وتمثله الروح العربية الأصيلة وتصوير بطولتها" (الشعار، دون تا: ٩٤). وهو يحرص على أن يجعل من الكلمات والألفاظ قوة فاعلة لإيقاظ الأبناء، لذلك نراه "يركز على الجملة الفعلية أكثر من الجملة الاسمية فالأولى قادرة على التأثير والتغيير وهي أكثر قدرة على النفوذ" (الهاشمي، ١٣٨٠: ٥٢). إذ اتخذها معادلاً لآلة الحرب الحديثة وذلك لمعرفةهم بأن وصف المعارك وتصوير أهوالها لا يأتي بذكر الألفاظ والمسميات الحديثة، وإنما بما يضيف الشاعر على القصيدة من روح يجعلها صورة صادقة للحرب. أو يقول:

لا يَدْرِكُ الغَايَةَ القُصْوَى سِوَى رَجُلٍ  
تَبَّتِ العَزِيمَةَ مَاضٍ حَيْثُ يَنْخَرِطُ  
إِنْ مَسَّتْهُ الضَّيْمُ نَاجَى السَّيْفِ مُنْتَصِرًا  
أَوْ هَمَّهُ الأَمْرُ لَمْ يَعلِقْ بِهِ التُّبْتُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٢٠٦)

استعمل الشاعر لفظة "السيف" وانحرف بها عن المعنى الأصلي، كي تدل على ظلم وقهر هؤلاء الحكام للشعب، وتشير على قرب نهاية الظلم والاستبداد كما ارتبطت لفظة السيف بالتحدي والعزم والإصرار للدفاع عن المبادئ الثورية والوقوف ضد أعداء الأمة. واستخدم ملك الشعراء بهار كالبارودي الألفاظ الثورية والإيقاظية وغالباً ما استعملت هذه الألفاظ لنقل صورة واضحة لما يعانيه الشعب في ظل الحكام المستبدين. استعمل الشاعر ألفاظ "مردم درمانده، عوام، بيدادگر، لئام" واستعمل أيضاً ألفاظ الحمية خلال هذه الأبيات ك"جوانمردی، جوانمرد، فضیلت، شرف وشرافت، خردمندی ودادخواهی" كي تؤدي لنا دلالات مباشرة وصريحة للمعاناة القاسية التي كان يمارسها الحكام إزاء أبناء الوطن؛ ولأن الشاعر

١. سيم الهوان: حمل عليه الذل - آلى حلف - مؤزر: القوي الشديد.

كرّس جهده لنقل هذه الصور بهدف شحذ الهمم وتعبئة الجماهير لانتزاع الحقوق المغتصبة، ولهذا غلبت ظاهرة الاستفهام المكرر على الأبيات، ويرجع ذلك إلى رغبة الشاعر الصادقة بتصوير الأحوال السياسية والاجتماعية، متواشجة مع حسرته وتوجعه وتعجبه فيقول:

كجاست آنكه جوانمردي وفضيلت را      به ياد مردم درمانده عوام دهد  
كجاست مرد جوانمرد وخواستار شرف      كه سود خویش ز كف بهر سود عام دهد  
كجاست مرد كه شمشير دادخواهي را      ز قلب بيداد گر نيام دهد  
وطن به چنگك لثام است كو خردمندي      كه درس فضل و شرافت بدین لثام دهد

(بهار، ١٣٨٠، ج: ١، ١٧٤)

مفهوم البيت: (أين أولئك الذين علّموا الفتوة والفضيلة لأبناء شعوبهم المضطهدة وأين أولئك الفتيان الذين قاموا أمام الظلم والجور وناضلوا الظالمين الغاصبين. الوطن في أيدي اللثام فأين الرجل الذكي الشهم الذي يعلم لهؤلاء اللثام درس الفضيلة والشرف). قد استعمل الشاعر ألفاظ الإيقاظ الأخرى في شعره كـ"جوانان غيور فردا" ويوظف الشاعر هذه الألفاظ المتتالية مستغلاً الطاقات الإيحائية المخزونة فيها ومرموزياتها المتعددة كما يخاطبهم بأوصاف أخرى كـ"پر دل، باشرف، زيرك سار" هذه الألفاظ التي صورت نفسية الشاعر التائر لتحريض الشعب والذود عن حميتهم وأرضهم، فحشد أفعال الأمر والنداء كي تسجم مع الطرح السابق فتحقق الدعوة إلى استثارة الهمم والعزائم. وجاءت هذه الألفاظ تحمل معناها الصريح، إذ "تدفقت الألفاظ بفعل الظروف المحيطة به، واستطاع الشاعر من خلال بنية النص اللغوية، أن يبلغ رسالته وتتلاءم الألفاظ لبيان الغرض المنشود فقد جاء صريحاً مباشراً" (فتوح، ١٣٨٦: ٨٦)، كما رمز بـ"گرگان دغا" إلى الحكام المستبدين ويشبههم بالذئاب في سلب الحقوق الوطنية فيقول:

اي جوانان غيور فردا      پر دل و باشرف و زيرك سار  
پاك سازيد ز گرگان دغا<sup>١</sup>      حرم پاك وطن را يك بار

(بهار، ١٣٨٠، ج: ١، ١٥٣)



مفهوم البيت: (أيها الشباب المحامون للوطن وأيها الفتيان الشجعان الشرفاء الذكي هاجموا على الأعداء الماكريين وهذبوا الوطن الطيب من تلك الجراثيم). فربط الشاعر بهذه الألفاظ التحريضية، بين الثورة وكل الفضائل والآمال من قضاء على الفرقة والاختلاف، وتحقيق وحدة الشعب وعلى الرغم من الدلالة الحقيقية للثورة، قد استطاع الشاعر الإبانة عن المعاني، لأن المقصود بهذا الشعر السياسي هم أبناء الشعب، وهؤلاء يختلفون في مداركهم وثقافتهم. والشاعر هنا لا يرضى نوازع نفسه، وإنما يريد بيان طريق الصواب لأفكار عامة الشعب والوصول إلى إقناعهم (زرين كوب، ١٣٧٣: ٩٦). في موقف آخر جاءت حال إيران وظروفها المسيئة وتخلفها مهيمنة على حركات النص واللغة في شعر ملك الشعراء بهار موجهاً لها في الألفاظ المرادفة لها كـ"ویرانی، پریشانی، خاک نیستی، حال تیره" لأنها لهم الأكبر لدى الشاعر، كما يظهر في الشعر استدعاء شخصية تاريخية كان لها دور بارز في الحضارة القديمة لإيران، إذ يروم الشاعر من هذا الاستدعاء استلهاً صلابة وعزيمة اردشير ساساني ونضاله من أجل قضية بلاده، ولعل ذلك يساعد على شحن فضائه بثناء تاريخي مجيد، وحرارة داخلية تعمق من عائدية الرمز إلى هذا الشعب فيخاطب اردشير ساساني رمزاً من رموز الثورة والتحرر في تاريخ الإيران القديم حيث ثار ضد الاستبداد والقهر، ولعل ذلك يكون بمثابة لوم لأبناء الشعب وإثارة الغيرة فيهم لاسترداد حريتهم، وبهذا انحرف عن المعنى الحقيقي لاردشير ساساني والألفاظ المرادفة لأوضاع إيران إلى معنى مجازي وهو التحريض على إيقاظ الشعب وتشجيعهم على الحمية الوطنية فيقول:

نهاده كشور دل، باز رو به ویرانی      كه ديهه مملكتي را بدين پریشانی  
دلا مكن گله از كس كه خوار و زار شود      هر آنكه شد چون تو سر گشته در هوسرانی  
به پاس هستي ایرانیان بر آور سر      ز خاک نیستی اي اردشیر ساسانی

(بهار، ١٣٨٠، ج٢: ١٩٢)

مفهوم البيت: (بدأ بلاد إيران يتهاوى ويتدهور، فمن رأى كهذه الظروف المأساوية لبلادته متشتتاً ومتفرقاً؟ فيا قلب لاتشك لأنه من يتألم ويغتم على وطنه وبلادته فيحتقر ويذل. فيا أيها الحاكم الباسل، أردشير ساساني، فانهض ودافع عن الوطن وكيانه).

#### ألفاظ الطبيعة

الحقيقة أنه ليس هناك طبيعة سعيدة وأخرى حزينة، وإنما هي نفسية الشاعر التي تنعكس على الطبيعة فتجعلها فرحة جذلة لفرحها، وحزينه كئيبة لحزنها وكآبتها، فقد ردد محمود

سامي البارودي وملك الشعراء بهار ألفاظاً بأسماء وأوصاف لكائنات حيّة في الطبيعة، أن ترددها ضمن تشكيلة سياقية، يشير إلى حالة نفسية تسكن الشاعرين.

يلحظ في شعر البارودي كثيراً من ألفاظ الطبيعة، إذ حاول الشاعر تجسيدها ليعين مدى تأزم حالته النفسية، احتجاجاً على الوضع السياسي القائم، فالدجى والليالي أصبح هماً كبيراً لدى الشاعر الذي قبع في دائرة التوقعات المستقبلية وإنّ الخلاص منه هو الفجر القادم، كما اتخذ الشاعر من التضاد بين الليل والفجر والغد دلالة للمفارقة العجيبة والاستنكار الذي يسجله الشاعر على هذا الواقع في ظل الحكم القائم، ومن هنا استطاع الشاعر الإنحراف بألفاظ الطبيعة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي، إذ رمز بالغد إلى انبثاق فجر الثورة القادمة، وأصبحت ألفاظ الطبيعة يتحسس بها الشاعر انطلاق نبع الأمل وانبلاج فجر الثورة فيقول:

خَلِيلِيَّ هَلْ طَالَ الدُّجَى أَمْ تَقِيدَتْ      كَوَاكِبُهُ أَمْ ضَلَّ عَنْ نَهْجِهِ الْغَدُ؟

(البارودي، ١٩٩٨، ج ١: ١٦٩)

يبدو لهذه المفردات حضور بارز فانطلق الشاعر يستعملها في المعنى المجازي له كما يربط بينها وبين المضامين السياسية، فعندما يذكر حالة بلاده في الظلم والقهر يذكر هذه الألفاظ المتضادة ويجسدها من خلال دلالات أخرى بعيدة عن حقل الطبيعة، تبعاً لاختلاف السياق الشعري الذي ترد فيه فيقول:

نُرُوحٌ إِلَى الشُّورَى إِذَا أَقْبَلَ الدُّجَى      وَنَفْدُو عَلَيْهِمِ بِالْمَنَايَا إِذَا نَفَدُو

(البارودي، ١٩٩٨، ج ١: ١٤١)

واستعمل ألفاظ الطبيعة الأخرى كالشمس، ورمز بها إلى الحياة الحرة الكريمة، كما ارتبطت لفظة الشمس بألفاظ أخرى مثل الضياء، العيد، الأنجم وارتبطت هذه الألفاظ رمزا لحاله الفرح وتهنئة البارودي بجلوس الخديو عباس حلمي الثاني فتمثلت صور الطبيعة التي سجل الشاعر إلى عالم الشكر والسرور معبراً عن إحساسه للظروف السياسية في ذلك الزمن، فيقول:

أَضْوَاءُ شَمْسٍ فَرَى سِرْبَالَ دِيَجُورٍ      أَمْ نُورٌ عِيدٍ بَعَقَدِ التَّاجِ مَشْهُورٍ؟  
وَأَنْجُمٌ تَلِكُ أَمْ فُرْسَانٌ عَادِيَةٌ      تَخْتَالُ فِي مَوْكَبِ كَالْبَحْرِ مَسْجُورٍ

(البارودي، ١٩٩٨، ج ١: ٢١٢)

فجاء بالهمزة في البيت الأول في أسلوب الاستفهام ليشعر المخاطب بقرب تحقق الانتصارات العظيمة في سبيل انبلاج فجر الثورة والحكومة بجلوس الحاكم وبهذا خرجت لفظة الشمس من معناها الحقيقي إلى معنى مجازي لتصبح رمزاً للثورة. أن تكوين هذه الدلالة للشمس، ربما ارتبط بذهن الشاعر بتطلعاته إلى عالم نوراني يطمئن إليه الوجدان، فضلاً عن ارتباطاتها بمعاني ودلالات نفسية لديه. وفي موقف آخر يتخذ البارودي الحمامة معادلاً رمزياً في رؤية ثورية تشير إلى الواقع المعيش، فما الحمامة إلا رمز للشاعر ونوحة الحمامة يرمز إلى حاله القلقة والحزينة في الغربة كما يستعمل ألفاظاً أخرى كالنسيم والبرق والغمامة ليعين حالة الألفاظ مع حاله فيقول:

أَتَرَى الْحَمَامُ يَنُوحُ مِنْ طَرَبٍ مَعِي؟      وَنَدَى الْغَمَامَةَ يَسْتَهْلُ لِمَدْمَعِي  
مَا لِلنَّسِيمِ بَلِيَّةٌ أَذْيَالُهُ؟      أَتَرَاهُ مَرَّ عَلَى جَدَاوِلِ أَدْمُعِي  
بَلْ مَا لِهَذَا الْبَرْقِ مُلْتَهَبُ الْحَشَا      أَسْمَتُ إِلَيْهِ شَرَارَةٌ مِنْ أَضْلُعِي

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٢٢٠)

واستخدم ملك الشعراء بهار أيضاً من هذه العناصر الطبيعية في شعره ويرمز إليها في الأغراض السياسية والاجتماعية، فإن صورة الليل والظلمة في الآفاق هي نتيجة طبيعية، ولكن ما الليل لديه إلا المعوقات والشوائب التي برزت كي تعرقل خط الثورة وما هي إلا رمز للحالة المسيئة للبلاد والأوضاع المشتتة في إيران كما يذكره الشاعر من خلال أبياته ويصرح بها في كلامه فيقول:

تاريخك شد آفاق تو گفتي كه به عمداً      يك باره زدند آتش صد تل جگن را<sup>١</sup>  
گم شد ز نظر آن همه زیبایی و آثار      وین حال فرا یاد من آورد وطن را  
شد داغ دلم تازه كه آورد به يادم      تاریکي وبد روزي ايران کهن را

(بهار، ١٣٨٠، ج: ١، ٢٧)

مفهوم البيت: (أصبحت الآفاق مظلمة كأن الأعشاب والنباتات اشتعلت ونفض غبارها في السماء ومحي جمال الطبيعة والدنيا وفي الحقيقة تذكرني هذه الحالة الظروف المشتتة للوطن). لقد تعددت دلالات الظلمة والاسوداد في الشعر السياسي والاجتماعي للشاعر،

١. نوع من النباتات البحرية التي لها جذور قوية.

وارتبطت بكثير من المعاني الثورية والنضالية وتطلعاته الثورية، ففي قصيدة يكرر هذه الألفاظ ويقول الشاعر:

برق انجم در فضاي تيره گفتي آشي است      پاره پاره جسته در نیلي پرند ششتری

(بهار، ١٣٨٠، ج: ٢، ٢٢٧)

مفهوم البيت: (كأنَّ النجوم في هذه الظروف المأساوية والمظلمة جمرة النار. وأصبحت هذه الفترة المسيئة كالملابس الثمينة الشسترية التي مزقت وتناثرت في الجو).

وفي موقف آخر يجيء بذكر الربيع وهذا رمز للتخلص من مصائب الوطن وبيان للسرور والفرح، يوظف الشاعر الربيع، إذ يرمز إلى الصمود والتحدي أيضاً، بينما يرمز بالسحاب إلى قوى الظلم والاستعمار فيخاطب الربيع للقضاء على هذه الشوائب، فانظر إلى قوله منشداً:

بهارا بهل تا گياهي بر آيد      درخشي ز ابر سياهي بر آيد  
وطن چاهسار است و بند عزيزان      بمان تا عزيزي ز چاهي بر آيد  
برون آيد از آستين دست قدرت      طبيعت هم از اشتباهي بر آيد

(بهار، ١٣٨٠، ج: ١، ١٣٧)

مفهوم البيت: (أيها الربيع مهّل الأرض لتخضر وتضرب واصبر لكي تمطر السحاب الممطرة وترعد السماء. الوطن في هذا الحقبه كالبئر والسجن، فاصبر صبراً جميلاً لتتخلص من المصائب وتظهر لك قدرات الشعب ولكي يستيقظ أبناء الوطن من الغفلة كما تستيقظ الطبيعة أيضاً من النوم وانبرى تنمو وتخضر).

كما انحرف الشاعر بالمعنى الحقيقي للفظه الحماسة إذ رمز بها لحريته المقيدة المسلوقة، ويشير إلى سيادة الظلم والظلام والحرب، وانحرف أيضاً من معنى البومة ورمز بها للأعداء، لكونها من الطيور التي لا تتطلق إلا في الظلام، لأنها لا تستطيع مواجهة النهار فيقول:

زهي کبوتر سپید آشي      که دل برَد سرود جان فزاي او  
رسيد وقت آن که جغد جنگ را      جدا کنند سر به پيش پای او

(بهار، ١٣٨٠، ج: ٢، ١٢٣)

مفهوم البيت: (ألا يا حماسة الحرية التي تخبر عن الوداد والمحبة ويا حماسة السلام أحبك الحب العفيف وأفدي لك روحي وقلبي. فحان وقت الهدنة ووقف إطلاق النار فاتفقوا السلام والهدوء).

وردت ألفاظ أخرى للطبيعة في شعر ملك الشعراء بهار كالروض، البستاني، عندليب حيث تحمل دلالات مجازية انحرف بها الشاعر عن معانيها المألوفة، وما لفظه الروض والنضرة إلا رمز للوطن النضر البعيد والجريح تحت حكم الطغاة مكانياً والقريب وجدانياً إلى نفس الشاعر والذي ملك سيطراً على أحاسيس الشاعر وهذا الوطن يعيش وضعاً مأساوياً بسبب الإستبداد والقهر والظلم الذي يمارسه الحكام، لذلك فهو قريب بعيد وجاءت لفظه البلبل رمزاً لنفسه، "فالعندليب في الأبيات هو الشاعر المبدع المتألم، وهنا تكمن أهمية المفردة التي تعطينا الطابع العام لمجسات الشاعر واهتمامه في الاختيار وقد تعطينا جذور الصور" (سبانلو، ١٣٧٣: ١٦٨). وبهذا استطاعت ألفاظ الطبيعة في النص فضلاً عن التراكيب اللغوية أن تحتوي نفس الشاعر وتعبّر عنها. وبهذا استطاعت ألفاظ الطبيعة أن تنقل لنا حالة الشاعر وانعكس ذلك على مظاهر الطبيعة كما يقول:

اي بلبل اسير به كنج قفس بساز      اكون كه از براي تو بال وپري نماند  
اي باغبان بسوز كه در باغ خرمي      زين خشكسال حادثه، برگك تري نماند

(بهار، ١٣٨٠، ج١: ٧٧)

مفهوم البيت: (أيها العندليب المسجون تما لك في قفصك فلم تبق لك الجناح والرياش ويا صاحب الحديقة والروضة لاتألم من الأوضاع المسيئة للروضة والحديقة وبيسها). كما لاحظ الباحث في هذه النماذج وغيرها من ألفاظ الطبيعة في ديوان الشعر السياسي الحديث للشاعرين، أنهما يجمعان بين المتناقضات، وهناك الفجر والصباح إلى جانب الليل والظلام، وتبدو هذه العملية أكثر من كونها استعمالاً للطباق، بل هي عملية زمنية واعية يحاول الشاعران أن يوحد بينها في أعماقهما ورؤيتهما، أملاً في كشف الواقع، كما لاحظنا في بعض النماذج التي استشهد بها الشاعران.

#### ألفاظ الحزن

ارتبطت ألفاظ الحزن والحنين لدى محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار بتجاربهما الذاتية، فجاءت أغلب ألفاظهما تعبيراً صادقاً عما يختلج في مشاعرهما. فترددت ألفاظ تعبر عن هذه المشاعر الحزينة وارتكازها على ألم الشاعرين وحالة وجدانية معذبة لديهما. اختار البارودي من اللغة وإيحاءاتها وأولد منها ما قدر على التوليد وأضاف إليها معاني جديدة ليصور أبعاداً جديدة لأغراضه السياسية واتجه إلى الألفاظ السهلة الواضحة مع

عدم إهدار صحة اللغة واستقامتها كشرط أساسي للإبداع الشعري ولعلّ القصد من التخلي عن استخدام هذا النوع من الكلمات هو التعبير عن المألوف مستقاة من واقع الحياة المعيشة. فعندما استقال البارودي في سنة ١٨٨٢م من رئاسة الوزارة في ظروف سياسية مسيئة أُنذر الوطنيين بالكيد الذي فعله الخائنون للوطن ورجاله وعرض بالحاقدين وذوي القلوب الوغرة واستخدام ألفاظاً حزينة تلائم مع نسج الغرض فبلغت مشاعر الشاعر ذروتها في الحزن وسادت تعابير وألفاظ النص سمة الكآبة والفجعية فيبدأ بيتاً حول الموضوع بفعل الأمر "خَلْنَا" والألفاظ الأخرى ك"وغره، بؤس، خديعة، هموم، عيشة كدرة" ليلقي المخاطب إحساس الشاعر فانظر إلى قوله منشداً:

خَلْنَا مِنْ سِيَّاسَةٍ دَرَجَتِ	بَيْنَ أَنْاسٍ قَلْبُهُمْ وَغَرَهُ
يَقْضُونَ أَيَّامَهُمْ عَلَى خَطَرٍ	فَبِئْسَ عَقَبَى السِّيَّاسَةِ الْخَطِرَهُ
خَدِيعَةً لَا يَزَالُ صَاحِبُهَا	بَيْنَ هُمُومٍ وَعَيْشَةٍ كَدَرَهُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج:١، ٢٢١)

وفي موقف آخر يتخير البارودي كلماتٍ مايناسبها بحاله الحزينة من أصدقائه ويدقق في أدائها وانساق منه انسياقا لحزنه وهمه من الأصدقاء المنافقين، فيستخدم مجموعة حزينة من الألفاظ السهلة ك"فساد، حسد، مرضى القلوب" ويأتي العلاقة بينها وبين حزنه الذي يريد من وراء هذه الألفاظ ونلاحظ أنه يأتي العلاقة بين الفعل والمقصود ويستخدم الفعل الأمري بروزاً في إبان كلامه ليؤكد على انتباه المخاطب كما استعمل فعل الماضي للدلالة على ثبات الألم والحزن ورسوخه في ذهن المخاطب، فانظر إلى شعره حين يقول:

أَخْبِرُهُ أَنِّي بَعْدَهُ فِي مَعْشَرٍ	يَسْتَجْلِبُونَ صَاحِبَهُمْ بِفَسَادِي
طَبِعُوا عَلَى حَسَدٍ فَأَنْتَ تَرَاهُمْ	مَرَضَى الْقُلُوبِ أَصِحَّةَ الْأَجْسَادِ

(البارودي، ١٩٩٨، ج:١، ١٥٢)

وفي مكان آخر يكرر الموضوع في الألفاظ الأخرى الحزينة ك" لم أجد صديقا، لا تبتئس، محنة، بؤس"، فكل هذه الكلمات تدل على حزن الشاعر وألمه من الجو المأساوي في زمنه ويستنكر هذه الحالة فيقول:

وَجَرَّبْتُ إِخْوَانَ الصَّفَاءِ فَلَمْ أَجِدْ	صَدِيقاً لَهُ فِي الطَّبِيبَاتِ قَسِيمٍ
وَلَا تَبْتَسُّ مِنْ مِحْنَةٍ سَاقَهَا الْقَضَا	إِلَيْكَ فَكَمْ بؤْسٍ تَلَاهُ نَعِيمٍ

(البارودي، ١٩٩٨، ج:٢، ٥٩٦)

وعندما نفي إلى سرنديب وابتعد عن أهله ووطنه أنشد قصائد رومانسية جميلة رائعة يريد منها بيان حاله كما يقول في قصيدة:

أَعَاثِدُ بِكَ يَا رِيحَانَةَ الزَّمَنِ      فَيَلْتَقِي الْجَفْنَ بَعْدَ الْبَيْنِ وَالْوَسَنِ  
أَشْتَاقُ رَجْعَةَ أَيَّامِي لِكَاظِمَةٍ      وَمَا بِي الدَّارُ لَوْلَا الْأَهْلُ وَالسَّكُنُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٦٢٨)

فاستهل الشاعر غرضه باستفهام انكاري "أعائد" يحتضن بين طياته إحياء له بتحقيق أمنية رؤيته ووطنه وأعطى المخاطب تبيين غرضه من بداية الكلام وهياً ذهن المخاطب لدلوله وذكر الكلمات الأخرى إلى جانبها ك"البين، اشتاق، رجعة، الجفن" ليأخذ منها جمالية لفظية ونسق ونظم مع المعنى ويعبر عن اقتدار الشاعر وموهبته بتركيب الألفاظ والمفاهيم، أو في قصيدة أخرى يبدأ كلامه بالخطاب وينادي بحرف الندبة "وا" والمنادى هو الكلمات الدالة على الهم والحزن الطويل "طول شوقي" كما جاء بألفاظ أخرى ك"عرتني، المحن" واستطاع بهذه الثروة اللغوية والخبرة الكافية أن يظهر معناه بوضوح وراء هذه الألفاظ :

وَاطُولَ شَوْقِي إِلَيْكَ يَا وَطَنُ      وَإِنْ عَرَّتَنِي بِحَبِّكَ الْمِحْنُ  
لَسْتُ أَبَالِي وَقَدْ سَلِمْتُ عَلَى الدِّ      دَهْرٍ إِذَا مَا أَصَابَنِي الْحَزْنُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٦٤٣)

لقد استخدم ملك الشعراء بهار أيضاً المفردات التي تدل على حزنه وهمه فأنشد قصيدة إثر اخفاق الثورة في عهد خوارزمشاه في الماضي ورثى للوطن وحكامه إذ شهدت إيران حزنًا عصبياً لما جرى لذاك الحاكم والوطن، ولهذا طغى على القصيدة الأسى والحزن، فسيطر تكرار مصطلح "اي دريغ" كمحور أساسي في كل مصرع من البيت وذكره خلال الأبيات ليعبر عن إحساس الشاعر المحزونة، كما جاء الاستفهام في البيت الأول ليعكس شدة الذهول واليأس الذي أنتابه، فتفجرت هذه النفسية المكبوتة بهذه الألفاظ الأسية، لترسم صورة من خلال الكلمة لما انطبع في إحساسه من الجزع من هذه النكبة المروعة فيقول:

شد چرا خوارزمشاه از وي گریزان اي دريغ      با چنان لشکر که بودش زیر فرمان اي دريغ<sup>١</sup>

١. كان جلال الدين خوارزمشاه حاكم خراسان في زمن المغول، وعندما كان المغول يريد أن يتسع حكمته، شن

على خراسان وقاوم خوارزمشاه ولكنه في النهاية انهزم جيشه وفر من خراسان وسيطر المغول على خراسان.

ماند بي سردار از اين معني خراسان اي دريغ      زان قبل جان هاي شيرين گشت قربان اي دريغ  
اي دريغ آن ملك همچون باغ رضوان اي دريغ      كانچنان شد در كف كفار ويران اي دريغ  
(بهار، ١٣٨٠، ج ٢: ١٩٢)

مفهوم البيت: (واحسرتا لحاكم خراسان، خوارزمشاه، هو الذي كان حاكماً بطاشاً وكان لحكومته جيش عظيم وأبطال مدجج بالسلاح. فهرب الحاكم إثر إخفاق الثورة وواهاً لخراسان، لأنها أصبحت دون الحاكم وصارت خراسان مجزرة ومذبحة لأهلها. فيا للحسرة لها حيث كانت قبل ذلك كالجنة المحفوفة بالأشجار، وفي أيامنا هذا احتلها المغول وسيطر عليها) وفي قصيدة أخرى يصور لنا لما استقر عليه وضع الوطن من التفرق والتمزق واحتلاله من جانب الأجنبي، ويظهر الامتزاج النفسي والروحي بين الشاعر ووطنه في الصورة المشابهة بينه وبين الوطن وذلك حال الشاعر الذي تشابه حال الوطن وهو يقرأ مآسي الأمة ومصائبها التي لم تعد في حالة الرجاء بل وصلت إلى حالة اليأس فيظهر هذا الحزن في ألفاظ ك"لاغر، ناله، دردا، دريغا بي برگ وكفن" قائلًا:

از رنج تو لاغر شده ام چونان كز من      تا بر نشود ناله نيني بدن من  
دردا ودريغا كه چنان گشتي بي برگ      كز بافته خویش نداري كفن من  
(بهار، ١٣٨٠، ج ٢: ٢٣٤)

(ياوطني من زمن هاجم عليك الأعداء وأحاطت عليك الأغيار اغتممت وأصبحت محزوناً فأحوالي تغيرت وتبدلت من أجلك ومن أجل ظروفك السيئة سقيمة). إن الدلالات النفسية لتلك الألفاظ ترسم لنا صوراً لما يعاني الشاعر ازاء الوطن ويكشف النص عن حالة شعورية حزينة نابغة من أعماق مظلمة، معبرة عن إحساس مرير باليأس ولده الشعور بعدمية جدوى المستقبل القادم، فأتى الشاعر بألفاظ الحزن في بداية البيتين وما هي إلا "رنج، دردا ودريغا" وذلك يشير إلى زوال الأمل وذهاب الفرحة والبهجة من حياة الأمة، زد على ذلك أن الألفاظ التي استعملها الشاعر كانت بمثابة مجسات لمواقع الألم في روحه.

أضف إلى حزنه الوطني بيان حال الشاعر في السجن أيضاً حيث يتألم من معيشه بعيداً عن أسرته في السجن وإن صورة "دردا كه دور كرد مرا چرخ بي امان" حشدت فيها الألفاظ التي تشيع القتامة والكآبة، لارتكازها على إحساس الشاعر بفقدان الحرية وهو قابع في



غياهب السجن، فينظر الشاعر إلى الحياة بهذا المنظار الذي لمسه في تجربته، ومنبثقة من حالته في الواقع الأليم. فجاءت الألفاظ والتراكيب تعكس نفسيته المكلومة ومعاناته في السجن فضلاً عن إبرازها للتعلق العميق بأهله وأبنائه فينشد قائلاً:

دردا دور كرد مرا چرخ بي امان      ناكرده جرم از زن وفرزند و خانمان  
قانع شدم به عزلت و عزلت ز من رميد      بر هر چه دل نهی ز تویی شك شود درمان

(بهار، ١٣٨٠، ج٢: ١٩٦)

مفهوم البيت: (والهفي وألمي؛ أبعدتني يد الدهر من أسرتي وقبيلتي دون أيّ ذنب ولا بدّ أن استسلم وأنطوي علي ولكنه لا يتيح نفسي للعزلة، وأيقن أن كل إمري يشغف بأمر ويلج عليه سيعثر عليه وسينجح).

#### ألفاظ الوحدة

من الطبيعي أن يكون لألفاظ الوحدة والدعوة إليها حضورها الواضح في ديوان الشعر السياسي للبارودي وملك الشعراء بهار، لا سيما أنّ الشعارين واكبا القضايا الوطنية، وكذا مرحلة التفرقة بين الحكام وأبنائهما، فاصطفت لدى الشعارين في هذا الحقل مجموعة من الألفاظ الوجدانية ملائمة مع موضوع الوحدة كعنصر هام بين الأمة. البارودي كالشاعر السياسي حين يستعمل هذه الألفاظ، إنما يعبر عن حالة جماعية، تسكن الوجدان الجماعي، وتتنظر إلى غد أفضل، تتجمع فيه الأمة. يقول البارودي:

فَيَا قَوْمُ هَبُوا إِنَّمَا الْعُمُرُ قُرْصَةٌ      وَفِي الدَّهْرِ طُرُقٌ جَمَّةٌ وَمَنَافِعُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج١: ٣٣٤)

لقد جاء الشاعر في هذا النص بلفظ "هبوا" هذا لفظ وحدوي قصدها الشاعر لإظهار عواقب التفرق والتناحر، فجاءت فعل الأمر "هبوا" يمثل الدعوة الصريحة والمباشرة لرص الصفوف والعمل الجماعي، وهذا يعكس إيمان الشاعر بالوحدة والتوحد. يحاول الشاعر في الموقف الآخر الذي يحمل جانب السهولة الولوج إلى الجماهير عبر البيان التقريرية والخبري موضحاً أنّ الوحدة هي مطلب شعبي لها أطيافها الواسعة، ويفتخر بفتيان شعبه الذين تحالفوا واتحدوا وأصفوا في ودهم ووفائهم والتزامهم بقيمة الوحدة، فاستعمل الشاعر ألفاظاً صريحة دالة على الوحدة وكثرة هذه الألفاظ في شعر واحد تدل على أهمية هذا الموضوع ومكانته لدى الشاعر" (فهيم، ١٩٨٧: ١٣٨)، فيستخدم ألفاظاً متنوعة ك"ثدي الوفاق،

تحالفوا، صفاء الود، اجتمعوا، الوفاء" فجاء بهذه الألفاظ المألوفة لبعث الروح الوجدانية، وجاءت لفظة "طول الدهر" لتوحي بأهمية تحقيق الوحدة لأبناء الأمة في كل الأزمنة.

فِي فِتْيَةٍ رَضَعُوا نَدِي الْوِفَاقِ      فَمَا فِيهِمْ إِذَا مَا انْتَشَوْا جَوْرٌ وَكَلَّ شَطَطٌ  
تَحَالَفُوا فِي صَفَاءِ الْوُدِّ وَاجْتَمَعُوا      عَلَى الْوَفَاءِ طَوَالَ الدَّهْرِ وَاشْتَرَطُوا

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٣٠٩)

ونلاحظ في الشعر الآخر الذي يدعو فيه دعوة صريحة للوحدة والاتحاد، إذ استعمل الشاعر التدرج لفعل الأمر في إبان الكلام أي "فاستوتقا، ذرا" ويعكس في هذين الفعلين في البيت الواحد مدى رغبة الشاعر وحبه للوحدة فانظر إلى قوله:

فَاسْتَوْتَقَا أَخَوِيَّ مِنْ شَأْنِكَمَا      وَذَرَا المَطِيَّ تَمُّورٌ بِالأَحْلَاسِ  
إِنَّ الفَلَاةَ لَهَا رَجَالٌ غَيْرُنَا      بِيَعُونُ نَيْلَ السَّيْرِ بِالإِفْلَاسِ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٢٨٧)

ولقد فاض شعر ملك الشعراء بهار أيضاً بألفاظ الوحدة والعبارات التي اتخذت عمقا ودقة في التعبير عن معاناة الشعب ووصف همومه وآلامه واستطاع أن يطور لفته الشعرية بما يناسب مع الحالة الإيرانية والأحداث الجارية في بلده، في الوقوف عند شعر الشاعر في بيان الوحدة والاتحاد. فنرى أنه يربط عزة الانسان بالوحدة والمذهب فيذكر بهذا الموضوع في صراحة الذكر وتكرارها ويأتي بكلمة "اتحاد" كمحور أساسي لشعره ويكرر هذا اللفظ لتوكيده على فكرة الشاعر في شعره، فانظر إلى قوله قائلًا:

عزت ما به دو چیز بسته است      اتحاد اول وبعهد مكتب  
كاین دو اول طریق رشاد است      روز یکرنگی واتحاد است

(بهار، ١٣٨٠، ج: ١، ٨٤)

مفهوم البيت: (إن العزة والفخر لدينا منوط بشيئين وهما الاتحاد والدين وهذان العاملان الهامان يرشداننا ويهدياننا إلى الطريق السليم فالיום يجب أن نتحد). وفي قصيدة أخرى يستخدم الشاعر ألفاظا موحية ومعبرة عن حالته النفسي الحزين وكانت ألفاظه بعيدة عن الإبهام وجاءت معبرة بوضوح عن شدة انفعاله لفقدان الاتحاد ويعتمد الشاعر باستخدام هذه الكلمات لتبيين مدى شدة حزنها من ضياع الوحدة بين الشعوب الإسلامية فهو في قصيدة يقول:

ما دو گروهم ز يك پيرهن	نيست ميانه سخن از ما ومن
روزي بوديم دو طفل صغير	داد به ما مادر اسلام شير
ما دو برادر بر هم زدند	آتش از اين فتنه به عالم زدند
اي كاش اي كاش گر اسلاميان	رسم دويي را ببرند از ميان

(بهار، ١٣٨٠، ج:١، ١٤٨)

مفهوم البيت: (إن بلادنا تتحد مع الدولة العثمانية وكلنا كأمة واحدة ولا خلاف بيننا ويرجع العامل الرئيسي لهذا الاتحاد إلى الإسلام فتفرقت الفتن والرزايا قبل ذلك ولكن اليوم تفرق شملنا وأصبحنا قوماً متشتتين فيا ليتنا نتحد ونصبح أمة واحدة). في الأسطر السابقة بدأ الشاعر حديثه بمفهوم الوحدة لتبيين أهمية الموضوع وشدة شوقه إليها وذلك أتى بالإطار اللغوي "دو گروهم" ثم جاء في الأبيات اللاحقة بنفس الموضوع وذكر ألفاظاً تدل على الوحدة كـ "بوديم دو طفل صغير، دو برادر، رسم دويي" فهو لم ينفصل عن ثقافته الدينية أيضاً واندمج بين الوحدة والدين ارتباطاً وثيقاً كما استعمل الكلمات التي تبين ذلك، فمنها ألفاظ كـ "مادر اسلام، اسلاميان". هذا التأثير يدل دلالة واضحة على الشاعر حيث وجد نفسه ملتزماً في هذه الرسالة وأجاد استخدام الروابط المعنوية بين الأبيات لتوكيده وقيمه لدى الشاعر. ثم يدعو أبناء شعبه للتمسك بالوحدة ويستخدم كلمات خرجت من معجمها اللغوي وحملت دلالات وإيحاءات عظيمة فاضت بالحركة والحيوية فيقول مستحضراً التراث التاريخي في هذا المضمار:

ما همه كودكان ايرانيم	مادر خویش را نگهبانيم
همه از پشت كيقباد وجميم	همه از نسل پور دستانيم
نادرشاه آن شاه هوشمند	شد يار اين اتحاد
ز آن رو كه خود مي ديد بي چون وچند	آثار اين اتحاد

(بهار، ١٣٨٠، ج:٢، ٢٥٠)

مفهوم البيت: (نحن كأطفال هذا الوطن نحاول أن نترقبه ونراعيه بكل قواتنا، لأن أبائنا وأجدادنا هم الأكابر الأبطال ذوو نسب شهير ككيقباد وجم وپور دستان. وحاول نادر شاه لتعميق اتحاد الوطن وأبناء الشعب لأنه كان قد أدرك نتائج الاتحاد وآثاره ولهذا أصبح

موضوع الاتحاد والوحدة كأهم الموضوعات في عصره). فظهرت براعة الشاعر في مفهوم الوحدة بالكلمات والعبارات الدالة عليها ك"ما همه، مادر نكهانيم، اتحاد". اعتمد الشاعر في قصيدته على الأسلوب الخبري الذي وجد فيه ما يوضح أفكاره وكان استخدام لفظة "همه" في مطلع القصيدة لجذب الانتباه كما اعتمد الشاعر في تكرار هذا اللفظ مرات ويكرر لفظة "اتحاد" أيضاً ليبين أن على الشعب أن يكونوا صامدين وآملين لترسيخ قيمة الوحدة بينهم. يجدر الإشارة إلى أن الشاعر في هذه الأبيات يتحدث بلسان الجماهير في بلاده معلناً انتماءه القومي مستخدماً كثرة استعمال الضمير الجمعي "ما، ايم" على مستوى التعميم مع الناس، وهذا الضمير مصدر قوة باعتباره حاملاً لإرادة التغيير بالاتحاد والوحدة.

#### الألفاظ السياسية

تشكل اللغة السياسية واحداً من المصادر الهامة اللغوية التي أفاد منها الشاعران في أشعارهما السياسية، مما يجعل منها عنصراً حيوياً في نسيج النص الشعري عندهما وربما كان عنصراً مركزياً في بعض الأحيان. ولا غرو أن الشاعر المعاصر من حقه أن يبحث عن لغته الخاصة المناسبة لتجاربه وهموم حياته. استعمل البارودي كثيراً من الألفاظ السياسية التي استوحاها من صميم أحداث عصره وتاريخ مصر، فاتخذ الشاعر من هذه الأسماء رمزاً لاطلاعه على السياسة ونشاطه في الأمور المختلفة لمجتمعه، هناك ألفاظ سياسية محضة استخدمها البارودي مثل "المشورة، الشوري" في إشاراتته بإنشاء مجلس النوابى للأمة، فنجد أن الشاعر جاء بها لتحقيق مطالب الشعب ويأتي الشاعر بذكرها للمعنى الحقيقي للغة فيقول:

سَنُّ الْمَشُورَةِ وَهِيَ أَكْرَمُ خُطَّةٍ      يَجْرِي عَلَيْهَا كُلُّ رَاعٍ مَرْشِدٍ  
... هَيْهَاتَ يَحْيَا الْمَلِكُ دُونَ مَشُورَةٍ      وَيَعِزُّ رُكْنُ الْمَجْدِ مَا لَمْ يَعْمَدِ  
... فَاعْكفِ عَلَى الشُّورَى تَجِدِ فِي طَيْهَا      مِنْ بَيْنَاتِ الْحُكْمِ مَا لَمْ يَوْجَدِ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ١٢١)

"هو في ذكر الألفاظ السياسية يحاول ألا يستعمل الألفاظ الدارجة بل يحرص على الكلمات الفصيحة السياسية وهو من أبرز الشعراء الذين أجادوا هذه الألفاظ" (موسى، دون تا: ٢٣٧). فمن الألفاظ الفصيحة الصريحة التي استخدمها الشاعر وصفه لصحيفة مصرية تنتشر الآراء السياسية لمصر يذكرها بصراحة ويناديها لإشاداته بها وماهي إلا صحيفة "نحلة" فيقول:

أَلَا يَا نَحْلَةً سَرَحَتْ فَحَازَتْ      سُلَالَةً مَا تَوَلَّتْهُ الْعَهَادُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ١١٤)

ومن الألفاظ التي نجدتها في شعره السياسي ذكر "العدل والعدالة" في المواضيع الكثيرة، فيكثر من استخدام هذا اللفظ واشتقاقاته اللغوية ليبين ملامح الاسم ويذكر اللفظ كمحور رئيسي لغرضه ويكون اللفظ المذكور هو الفكرة الأصلية عنده، فعندما يذكر العدل والعدالة يدور الحديث حول تصوير الحكام والتزامهم به كما يقول مخاطباً حاكم عصره:

وَأَجْرِيَتْ مَاءَ الْعَدْلِ فِيهَا فَاصْبَحَتْ      وَسَاحَاتُهَا لِلْوَارِدِينَ مَنَاهِلُ  
فِيهَا أَيُّهَا الصَّادِي إِلَى الْعَدْلِ وَالنَّدَى      هَلُمَّ فَذَا بَحْرُ لَه الْبَحْرُ سَاحِلُ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ٢، ٤٤٢)

وبعض الأحيان يقتصر على ذكر الرجال السياسيين وقد يتصل بهذا الاستخدام التعبير عن الصيغ التقليدية بألفاظها ومعانيها كما جاء في قصيدة منشداً:

عَبَّاسُ يَا خَيْرَ الْمُلُوكِ عَدَالَةً      وَأَجَلٌ مَن نَطَقَ أَمْرُؤُ بِثَنَائِهِ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٤٢)

كما يذكر البارودي في اللغة الشعرية السياسية مجموعة من الألفاظ السياسية التي تشكل التيار السياسي للشعر فحسب ولا يقصد غير المفهوم السياسي فقد استخدم الشاعر بعض الألفاظ السياسية كـ"مولاي، الملك، تسوس" في تهنئته للخديو عباس حلمي باشا بعيد الفطر ويقول:

أُمُولَايَ دُمٌ لِلْمَلِكِ رَبًّا تَسُوسُهُ      بِحِكْمَةٍ مَطْبُوعٍ عَلَى الْحِلْمِ وَالْبَأْسِ

(البارودي، ١٩٩٨، ج: ١، ٢٨٧)

وأما "الألفاظ السياسية فأصبحت لدى بهار تواكب التطورات السياسية في زمنه وباتت تعبر عن روح العصر وصارت لغته الشعرية السياسية تمتلك طاقات تعبيرية عالية تتكشف فيها دلالات الألفاظ، فأدخل العديد من الألفاظ والتعبيرات السياسية إلى شعره. بما أنه عاش في عصر النهضة الدستورية فتأثر كثيراً بهذه النهضة" (عابدي، ١٣٧٦: ٦٣). يمكن ملاحظة دقة التعبير وجمال الاستخدام للألفاظ عند الشاعر في قصيدة يستعمل كلمات تنقد فيها رضاخان لما نقض الدستور وحرص على الاستبداد والعنجهية، فحشد ألفاظ سياسية كثيرة في البيتين مثل "پهلوي، بدكاري، تاج گداري، كله برداري، بيگانه" فجاء

الشاعر بهذه الكلمات متناسقة مع جوها السياسي وتكرار "پادشاه" ابتعد عن تنافر التكرار لأن القصد في البيتين هو التوكيد على الحاكم فلهذا أكد على غرضه بتكرار هذا اللفظ في جملة خبرية تقريرية فيقول:

پهلوي تاج به سر نهد از بدكاري است      نيست آن تاج گذاري كه كله برداري است  
پادشاهي نه به تصديق فلان بيگانه است      پادشاهي نه به تعظيم فلان بازاري است

(بهار، ١٣٨٠، ج:١، ١٨٧)

مفهوم البيت: (إن الحاكم يحكم الناس بالردالة والسفاهة ويخدع الشعب في حكمه والحاكم هو الذي لا يصدق على الرجل الأجنبي وتعظيم رجال المتجرين الأغنياء). وفي موقف آخر استطاع الشاعر أن يمزج بين الألفاظ والمعاني المنشودة لديه وأعطى صورة حزينة لحال شعبه ووطنه ورسم صورة فنية لبلده بالفاظ ك"شوروي، متفقين، بيروزي، ايران" وامتزج بين الفعل الماضي الحالة لثبوت تلك الحال والفعل المضارع الذي يدل على استمرار الحالة فيقول:

كي فراموش كند شوروي نيك نهاد      كه شد ايران پل بيروزي او سرتاسر  
اينك از دوستي متفقان آن خواهم      كه بخواهد پسري خسته ونالان ز پدر

(بهار، ١٣٨٠، ج:١، ٦٦)

مفهوم البيت: (لا يمكن أن تنسى بلاد روسيا أن إيران أصبحت جسراً لظفرها فالآن حان أن تعيننا على ما أصابت بلادنا بالمصائب المتعددة والعوائق الكثيرة). هناك أسماء سياسية وظّفها الشاعر لتكون دلالة واضحة على المفردات السياسية عنده حيث شكلت تياراً متسقاً مع أغراضه السياسية.

وبالمقابل نجد حشداً هائلاً من المفردات الدالة على المفاهيم السياسية وهناك ارتباط وثيق بين الألفاظ تعكس بجلاء طبيعة الأزمة بين الدستوريين وتمثل الجو المسيء لشعبه الذين رزحوا تحت وطأة الحكام ومن ورائهم الفئات السياسية واختلافها، فالخطاب التهكمي لرجال السياسة يبين الواقع السياسي فيستخدم الألفاظ السياسية لتصوير هذه الحياة في أروع تجلياتها، ويتخذ ألفاظاً محسوسة يومية عينية مثل "رفيقان اداري، قانون، مشروطه خواهان، مستبدين، قيام، انتقام" لتبيين الحقيقة والواقعية للموضوع ولهذا تداخل الألفاظ الحسية مع الفكرة والعاطفة في تشكيل الصورة فيقول:

اي رفيقان اداري رفت قانون زير پاي      حفظ قانون را قيامي سخت و پا برجا كنيد  
چشمهاتان روشن اي مشروطه خواهان قديم      هي به ضد يك دگر هنگامه و غوغا كنيد  
چون كه تنها ديد بر قانون وبر خویش احترام      مستبدین از شما يك يك كشيده اند انتقام

(بهار، ۱۳۸۰، ج: ۱، ۲۰۱)

مفهوم البيت: (يا رجال الحكومة تنبهوا أنّ القوانين والدستورية في البلاد نُقِضت، فتمسكوا بها والتزموها التزاماً شديداً ويا رؤساء النهضة الدستورية لماذا اشتدت لديكم هذه الخلافات المردية ولما استبددتم ونقضتم الدستور والحرمة والاحترام بينكم وهيأتكم الطريق لسلطة الأجنبي والأعداء)

### النتائج

لقد حاول البحث أن يستكشف تأثيرات النهضة الدستورية في أشعار الشعراء - محمود سامي البارودي وملك الشعراء بهار - على الصعيد اللغوي. لقد وظّف الشاعران البنية اللغوية الشعرية في المضامين السياسية والاجتماعية، وهذا يبين مدى مقدرة الشعراء للتعبير عن تلك المضامين وراء الألفاظ المختلفة. فما وصل اليه الباحث من خلال ما مرّ يتضح لنا فيما يلي:

- ألفاظ الايقاظ والثورة: يحرص الشاعران على أن يجعل من الكلمات والألفاظ الإيقاظية والثورية كقوة فاعلة لإيقاظ الأبناء مباشرةً وغالباً ما استعملت هذه الألفاظ لنقل صورة واضحة ومباشرة لما يعانيه الشعب في ظل الحكام المستبدين، ولكنه يركز البارودي على الجملة الفعلية أكثر من الجملة الاسمية فالأولى قادرة على التأثير والتغيير وهي أكثر قدرة على النفوذ.
- ألفاظ الطبيعة: حاول الشاعران أن يجسدا لنا المتناقضات المنوعة لألفاظ الطبيعة لتبيين تأزم حالتها النفسية ومدى احتجاجها على الوضع السياسي القائم، فاستعمل الانحراف بألفاظ الطبيعة من المعنى الحقيقي إلى المعنى المجازي وأصبح الدجى والليالي والفجر والصباح يشكل هماً كبيراً لديهما.
- ألفاظ الحزن: اختار الشاعران اللغة الحزينة ليصوروا أبعاداً جديدة لأغراضهما السياسية لما انطبعا في إحساسهما من الجزع من الأوضاع السياسية والاجتماعية المسيئة. نظراً لذلك اتجه الشاعران إلى الألفاظ السهلة الواضحة مع عدم إهدار

- صحة اللغة واستقامتها كشرط أساسي للإبداع الشعري. كما استخدمنا المفردات التي تدل على حزنهما الشخصي وهمهما نتيجةً لاغترابهما الوطني.
٤. ألفاظ الوحدة: أصبح لألفاظ الوحدة والدعوة إليها حضورها الواضح في ديوان الشعر السياسي للبارودي وملك الشعراء بهار. يعبر البارودي هذا النوع من الألفاظ عن حالة جماعية، تسكن الوجدان الجماعي. ولقد فاض شعر ملك الشعراء بهار أيضاً بألفاظ الوحدة والعبارات التي اتخذت عمقا ودقة في التعبير عن معاناة الشعب ووصف همومه وآلامه.
٥. الألفاظ السياسية: صارت اللغة الشعرية السياسية لديهما تمتلك طاقات تعبيرية عالية تتكثف فيها دلالات الألفاظ، فتأثر الشاعران كثيراً بهذه النهضة وأدخلا العديد من الألفاظ والتعبيرات السياسية مضافاً إلى المفردات الدالة على المفاهيم السياسية. وأما البارودي فقد استعمل كثيراً من الألفاظ السياسية التي استوحاها من صميم أحداث عصره وتاريخ مصر، واتخذ من هذه الأسماء رمزاً لاطلاعه على السياسة ونشاطه في الأمور المختلفة لمجتمعه.



## المصادر والمراجع

١. إسماعيل، عز الدين (١٩٨٦م). الشعر العربي المعاصر، قضاياها وظواهره الفنية والمعنوية. القاهرة: دارالفكر العربي.
٢. البارودي، محمود سامي (١٩٩٨م). ديوان البارودي. ج ١، بيروت: دارالعودة.
٣. بهار، محمد تقي (١٣٨٠هـ). ديوان أشعار. ج ١، طهران: انتشارات طوس.
٤. زرین کوب، عبد الحسين (١٣٧٣هـ). باکاروان حله. ط ٢، طهران: انتشارات علمي.
٥. سپانلو، محمد علي (١٣٧٣هـ). بهار ستایشگر آزادي. ط ٨، طهران: انتشارات سخن.
٦. الشعار، فؤاز (دون تا). الأدب العربي. بيروت: دار الجيل.
٧. عابدي، كاميار (١٣٧٦هـ). به ياد ميهن. طهران: انتشارات ثالث.
٨. عزيز، السيد جاسم (١٩٩٥م). دراسات نقدية في الأدب الحديث. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب.
٩. العشماوي، محمد زكي (١٩٨٨م). قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث. القاهرة: دار المعرفة الجامعية.
١٠. فتوحى، محمود (١٣٨٦هـ). بلاغت تصوير. طهران: نشر سخن.
١١. فهمي، ماهر حسن (١٩٨٧م). حركة البعث في الشعر العربي الحديث. القاهرة: مكتبة النهضة العربية.
١٢. مبارك، محمد رضا (١٩٨٨م). اللغة الشعرية في الخطاب النقدي العربي. القاهرة: دار المعارف.
١٣. مرشدة، علي عبدالحميد (٢٠٠٩م). في الشعر الحديث. إربد: عالم الكتب الحديث.
١٤. موسى، خليل (دون تا). البارودي رائد النهضة الشعرية. بيروت: دار ابن كثير.
١٥. الهاشمي، السيد أحمد (١٣٨٠هـ). جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدع. قم: نشر بلاغت.